مصحف عبدي باشا بالجامع الكبير في الجزائر المحروسة
ـ دراسة تاريخية وفنية ـ

د. نبيلة حساني•

تفتخر الجزائر بامتلاكها كنز تراثي من المخطوطات المنتشرة عبر ارجاء قطرها ، وهي متنوعة في الشكل والمضمون ، وعندما نطلع على هذا التراث نجده قد أخذ في تطور مستمر طيلة عصري الوسيط والحديث بصورة متميزة في دقة زخارفها وإبداع ألوانها وجمال خطها ، إذ تشهد على ما وصل إليه فن صناعة المخطوط في عهد الايالة الجزائرية والعناية بجودة الخط أمر طبيعي فيه ، فقد كان الخطاطون يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع ، لاشتغالهم بكتابة المصاحف إلى جانب نسخ مخطوطات الأدب والشعر وغيرها من المعارف والعلوم ، وكان لاهتمام الأمراء والحكام بهذا الفن الأثر الأكبر في تحسين الخط وتقدم فن الجمال والزخرفة

أعظم المخطوطات شأنا من الناحية الفنية هي مخطوطات المصاحف التي كانت تذهب وتزين بأدق الرسوم وأبدعها ، وكان تعظيم القرآن الكريم يدفع كثيرًا من الفنانين إلى العناية بتذهيب المصاحف ، فأقبل بعض الباشاوات و الدايات والعلماء وكبار رجال الدين والأدب على تحسين الخط والزخرفة والتجليد وتعلم فن التذهيب وكانت لمساعدتهم المادية والمعنوية للمذهبين أكبر الأثر في إخراج أعظم مخطوطات المصاحف .

من نماذج المصاحف التي وصلت إلينا مخطوطة " المصحف الموجود بالجامع الكبير بالجزائر المحروسة والمعروفة " بمصحف عبدي باشا " ، مكتوب على الورق ، أوقفه داي الجزائر المحروسة للجامع الكبير سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م ، فمن تكون هذه الشخصية ؟ .

أولا: تعريف الشخصية :

هو الداي محمد كرد عبدي باشا (١٧٢٤-١٧٣٢) : كان أغا الصباحية إبان فترة حكم الداي محمد بن حسن باشا (١٧١٨ــ ١٧٢٤) ، عرف بالداي بابا عبدي ولقب بالكرد إذ يشير عبد الرحمان الجيلالي في مؤلفه انه من المحتمل أن يكون من أكراد العراق، كما عرف بالأعور و الأعمى

اشتهر عبدي بشخصيته العسكرية القوية ، عين مكان "محمد بن حسن باشا داي " الذي نصب له كمين إثر ذهابه في نزهة بحرية كالمعتاد ، و عند رجوعه إلى المدينة قتل أمام الثكنة الواقعة فوق باب البحر مدينة الجزائر المحروسة ، إذ سارع القتلة إلى القصر لتعيين داي من طرفهم لكن

• جامعة الجزائر ٢

الخزندار الذي كان برفقة الداي المغتال سبقهم وقام بإجبار كرد عبدي آغا الصبايحية الصديق الحميم للداي محمد باعتلاء المنصب وأخبر الجميع بذلك لتهنئة الداي الجديد ، كان ذلك في ٢٩ ربيع الآخر ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م[١] .

يذكر المستشار السياسي بالقنصلية الفرنسية في الفترة الاستعمارية " لوجي دي تاسي" أنه عين رسميًا بعد ارتداء القفطان إذ كان يبلغ من العمر ستين سنة ، والواقع أنه تقلد عدة مناصب منها بايا على بايليك التيطري ثم قائدا للخيالة لعدة سنوات ، وكان اختياره بسبب قدرته إلى جانب سمعته الطيبة بين الجميع ، واشتهر بالشجاعة و الكفاءة و مثالا للاستقامة و الصرامة[٢] .

كما رفض الداي عبدي باشا التفاوض مع هولندا وفرنسا وأرغم ممثل السلطان القسطنطينية الذي جاء مع بارجة عثمانية وخمسة وأربعين شخصية لتسلم السلطة في مدينة الجزائر على العودة من حيث أتى ، بعد أن هدده بإطلاق النار على البارجة ، وفي عهده سقطت وهران ومرسى الكبير بأيدي الأسبان ، كما كان حريصا على صداقته مع ملك السويد فريدريك الأول[٣]

أولى عبدي باشا عناية لنشر العلم والتعلم فحظيت المساجد والزوايا باهتمام خاص ، فقام ببناء مسجد الجامع الذي حمل اسمه **"جامع عبدي باشا"** في سنة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م بالقرب

من ثكنة الإنكشارية المعروفة بثكنة "المكررين"، و حسب **"جون دوني"** فإن أصل التسمية هي: المقرئين بسبب قربها من هذا الجامع إذ كان الجنود يرتلون القرآن في المواسم الدينية و خاصة في شهر رمضان و منها جاءت التسمية و التي تعني تكرار قراءة القرآن[٤].

وأعاد ترميم ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، و أضيفت زيادات محوله بقصد توسيعه. بالإضافة الى رعاية الأوقاف، وكان يحبس مصاحف كثيرة ، نذكر منها : " مصحف الشريف " الذي هو موضوع بحثنا.

---

[١] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج ٣، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٥٤

[٢] مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠، ج١-٢، دار الأمة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٠١.

[٣] بن ميمون محمد الجزائري :التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق ، محمد بن عبد الكريم ، ط٢ ، ش، و، ن، ت، الجزائر،١٩٨١،ص ٢٣.

[4] John Deny : les registres de solde des janissaires, in R, A Nº 61, 1920 ;123 .

توفي الداي عبدي باشا بتاريخ ٣ سبتمبر١٧٣٢ عن عمر يناهز ٨٨ سنة، حيث اختلف في سبب وفاته فمنهم من رجح مرضه بسبب الآلام التي كانت تلازمه على مستوى البطن و منهم من قال أنه مات مسموما[٥].

ثانيا : دراسة المخطوط :

من الأساليب الفنية التي ارتبطت بـ : " مصحف عبدي باشا " تذهيب صفحاته الأولى ، وكان الخطاط يتم المصحف تاركا فيه الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة، أو تنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط، وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب، و في مثل هذه الأحوال قد تكون الصورة منقولة عن مخطوط آخر، وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل أولها يسند إلى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى وكذلك صفحاته الأخيرة وبداية فصوله وعناوينه، وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، حين بلغت الغاية في الاتزان والدقة وتوافق الألوان، وتتم عملية التذهيب باستخدام مادة الذهب في كتابة وتزيين أوائل المصحف وأواخره ، وقد يشمل التذهيب جزءا من المخطوط أو كله ويمكن أن تكون مادة الذهب المستعملة عبارة عن شكل أوراق، أو صفائح تسخن وتختم بواسطة أختام خاصة، كما يمكن استخدام الذهب كمادة للكتابة والزخرفة، وذلك عن طريق وضعه في إناء يضاف إليه الملح والعسل، ثم يوضع على النار حتى يهيأ، بعدها يترك مدة من الزمن في إناء خاص، وهو ما يسمى بحل الذهب، ويكتب به بعد ذلك ، وهو ما يعرف بالكتابة بماء الذهب.

استعان الناسخ عند كتابة المصحف بعدة أدوات من أجل إخراج المخطوط في أحسن حلله ، مستعينا بلون المداد وحسن الصناعة ونوع القلم والورق أو الكاغد ، وقد أنشد احد الشعراء في ذلك :

ربع الكتابة في سواد مدادها * والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تسوي بريه * وعلى الكواغد رابع الأسباب[٦]

ـ استعمل المداد بمختلف أنواعه ، واتخذ من اجل ذلك عدة الوان ، وقد اعتمدنا في هذا الشأن على مصدر مهم لمؤلفه المعز بن باديس يصف أنواع المداد عند الأمم ، ويقول في صفة المداد الصيني الذي يشبه

---

[5] klein Henri, Feuillets d'El Djazair, Fontana, Alger, 1937 ,p54.

[٦] ابن باديس المعز : " عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" ، تحقيق عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية،ط٢، ١٩٩٧،ص ص٤٣، ١٧٢.

الحبر: تأخذ من المداد الفاسي الجيد ما شئت فتسحقه بلبن حليب ثلاثة أيام، كلما حف سقيته لبنا، واسحقه ثم صيره صحائف ، وقطعه شوابر على ما تختار ، فإنه يجيء كالشيح.

وفي صفة مداد أيضا يشبه الحبر تأخذ سمن البقر ، ودهنا من الأذهان مثل السمن ، الطيبة الرائحة ، ثم تضعه في إناء، وتضع عليه إناء آخر، وتوقد تحت الإناء الذي فيه الدهن أو السمن، أو أي دهن أردت، حتى يصير الدهن أو السمن كله دخانا قد صعد في الإناء الأعلى، ويصير في سماء الغطاء، متصاعدا لأعلى، فتجمعه. فتعمل بهذا الدخان كما عملت بالمداد الأول[٧] .

ويقول أيضا في صفة مداد هندي : تأخذ الأرز، أو ثمر الصنوبر اليابس، أوهما جميعا، ويجعل في جرة جديدة، ويبيت في فرن حتى يصير فحما، ثم يخرج من الغد ، فتسحقه أيام صلابة ، ويسقى بماء الآس المطبوخ ، وتضيف إليه من الزاج المعمول على الصفة المذكورة، فإذا استحكم سحقه بماء الآس ، يجفف ويسحق بماء الصمغ بمقدار ما يحتمله من الصمغ لكل رطل من المداد المسحوق أوقيتين من ماء الصمغ، وإن زيد قليلا لم يضره، وإذا اشتد في الصلاية نزع منها ، وعجن وجعل على طوابق وترك في الظل، يجيء حسنا إن شاء الله تعالى[٨].

وفي وصفه للمداد الكوفي يقول: تأخذ قشور الرومان وحطبه، فتحرقها، وتأخذ رمادهما فتعجنه بلبن حليب وشيء من صمغ مبلول، ثم تجعله أقراصا، فإنه أجود ما يكون من المداد.وفي وصفة أخري للمداد نفسه يقول : تأخذ عنعنا روميا فيحرق حتى يصير فحمة، ثم اسحقه بماء الصمغ المُقوظ ، واجعله أقراصا ، وجففه في الظل يأتيك جيدا إن شاء الله تعالى[٩]

أما في صفة المداد الفارس يقول: خذ من نواة التمر الذي قد نضج في الخل، واجعله في جرة على قَدر ما تريد منه، وطين الجرة بطين الحكماء، وقد صيرت على فمها خرقة قبل الطين ، فإذا طينتها دعها حتى تجف قليلا ، ثم إن شئت أوقدت عليها الحطب المحول من غدوة إلى الليل، وإن شئت أدخلتها في فرن الزجاجين، فإذا أخرجتها من النار، فأنزلها حتى تبرد، فإنها تخرج سوداء كالفحم، ثم اجعله أقراصا على ما تريد[١٠].

المداد المغربي:

---

[٧] المعز بن باديس: المصدر السابق ، ص ٣٣

[٨] نفسه ، ص ٣٤.

[٩] نفسه ، ص ٣٥.

[١٠] نفسه،ص٣٥.أنظر :أبوا بكر محمد بن محمد القلوسي الأندلسي، تحف الخواص في طرف الخواص،القاهرة ، مكتبة الإسكندرية،٢٠٠٧.،ص٢٣

ويقول يوسف بن عبد الحفيظ في الكيفية الثانية لعقد لون من الحمرة : وهو الذي يصنع من الفوة وهو أيضا كما قيده لي سيدي الطيب المذكور ما نصه،وهي أن تأخذ عيدان الفوة فتسحقها سحقا وتضيف إليها قدر الربع من الشب اليماني ،وان لم يوجد فالشب مطلقا ،وقطر عليها من ماء البيض الذي ليس هو بياض البيض ولا مخه بل الماء الذي بين البياض والمخ وزد لهما ماء قليلا و اعصرهما من خرقة تكون حسنة ،فيكون لونه مليحا[١١].

ويقول في الكيفية الثالثة في عقد الذي يصنع من اللك وهو أحمر عكري[١٢]،فتأخذ وقاء من الغاسول العشبي وتسحقه ناعما ويضف لهما قليلا من الشب وألق عليه أبياض ، وأمزج ذلك حتى يختلط وأطرحه للشمس حتى يجف وأمسكه لوقت الحاجة ، فإذا كان وقائين فتضاعف مقدار البيض ، وان كان نصف الوقاء فقسم عدد البيض لجزأين[١٣]

وفي الكيفية الرابعة يقول في كيفية عقد الزنجفور فإن كان مسحوق فيلقي في الدواة ويلقي عليه العلك حتى يضيء منه ويلقى عليه الماء حتى يعجنه به وأن لم يسحق فيجب أن يسحق أيضا حتى يصير دقيقا نحو ثلاث مرات أو أكثر ، فللسحق غاية وهو الذي يجيد الدواة،فما زيد سحقه إلا زادت جودته[١٤]. يقول أيضا في كيفيته الخامسة في عقد الزرنيخ وسحقه ،فيقول له نوعان: نوع يضرب للون الأحمر،والآخر للون الأصفر والذي يطلق عليه بالذهبي فهو صعب السحق أكثر من الأحمر فيسحق ويعقد بالزنجفور[١٥]

وقد أدرج أبو بكر محمد بن محمد القللوسي الأندلسي قانون تركيب المداد الذي يصنع من العفص والزاج والصمغ ضمن جدول يبرز كل من أنواع المداد وأوزانها وكيفية عقدها .

أما فيما يخص ألوان المداد:

ثانيا/١-في المداد الأخضر :

يقول أبو بكر محمد بن محمد القللوسي :يؤخذ من ماء العفص غير نقوس ويسحق فيه الزنجار مع قليل من الخل ويضاف له قليل من الزعفران والصمغ العربي فيسبح جاهز للإستعمال[١٦].

---

[١١] يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني ، المصدر السابق،ص٣. أنظر ، القللوسي : التحف الخواص في طرف الخواص،ص٢١.

[١٢] اللون العكري : هو الذي تضرب حمرته للسواد ويضاهي الدم على خلاف غيره

[١٣] نفسه ، ص٤.

[١٤] نفسه ، ص٥.

[١٥] نفسه ، ص٦.

[١٦] أبو بكر محمد بن محمد القلوسي الأندلسي،نفس المصدر،ص٢٨.

ويقول المعز بن باديس:تأخذ ممن الزرنيخ الأصفر عشر أجزاء،ومن النبيل الجيد جزئين فتخلطهما جميعا وتسحقهما سحقا جيدا فإنه يصير أخضرا مشبعا ،وكلما أردت أن تزيده شراقة ،قم بذره من الزرنيخ قليلا،حتى يصير الى الخضرة المشرقة فيمكنك أن تكون منه ألوانا كثيرة الألوان[١٧].

ويقول أيضا:تأخذ من قشر الرمان الحامض عشرين مثقال ،وان كان رطبا كان أجود له ،ومن قشر الجوز الأخضر مثله ،ومن العصف الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال ،ومن عصارة الآس مثله ،وتجعله في الشمس أربعين يوما ،ثم تقوم بتصفيته وتجعله في قارورة ثم تأخذ زنجار مسحوق،ثم قم بالرج فيصير صالحا .[١٨]

ثانيا/٢-في المداد الأزرق:

يقول يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني في عقده:خذ شيئا من النيل وأجعل عليه شيئا من البيض فيصير جيد . وفي صفة الزنجار خذ شيئا من الطيب منه وقم بغسله جيدا بالماء ،ثم قم بسحقه سحقا ناعما ثم خذ منه أوقية واجعل عليه درهمين من الصمغ العربي وثمن درهم من الزعفران فيكون جيدا.[١٩]

يقول أبو بكر محمد بن محمد القللوسي:قم بطبخ الضفيرة طبخا بليغا وظف لصفوتها شيء من ماء العصف الصافي والصمغ فيصير جاهزا للاستعمال[٢٠]

ويقول المعز بن باديس :قم بأخذ الباروق ،واسحقه سحقا جيدا ناعما ويلقي عليه من النيل شيء يسير ويسحق ،ويمكن استعماله هكذا،فان أردته كحليا أغمق من ذلك فزد إليه قليل من النيل والصمغ العربي ،فزيادة النيل تمكنك من اخراج ألوان كثيرة[٢١].

ويقول أيضا في صفة الحبر أزرق طاووس[٢٢]:يؤخذ نواة كزبرة العصف ، فيطبخ حتى يصير كالمرهم، ثم يلقي عليه وزن خمسة دراهم صمغ ودرهم من اللك،ليصبح جاهزا للكتابة[٢٣].

ثانيا/٣- في المداد الأحمر:

يقول المعز بن باديس: قم بأخذ قشر الرمان الحامض عشرين مثقال ،وان كان رطبا كان أجود له ،ومن قشر الجوز الأخضر مثله ،ومن العصف

---

[١٧] المعز بن باديس،نفسه،ص٦٣

[١٨] نفسه،ص٤٦

[١٩] يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني،نفسه،ص٧.

[٢٠] أبو بكر محمد بمن ممحمد القلوسي،نفسه،ص٢٩.

[٢١] المعز بن باديس،نفسه،نص٢٩.

[٢٢] سمي بالأزرق الطاووس نسبة لريش الطائر الطاووس

[٢٣] المعز بن باديس،نفسه،ص٤٨

الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال ،ومن عصارة الآس مثله ،وتجعله في الشمس أربعين يوما ،ثم تقوم بتصفيته وتجعله في إناء وتلقي عليه زنجفرا مسحوقا ،ويحرك بواسطة قلم فيصير جاهزا للاستعمال[٢٤].

ويقول أيضا في صفة الحبر الأحمر:يؤخذ من العصف فيرص ويلقى ما في داخله من الحمرة والسواد ويترك قشره الخارجي ،فينقع في الماء بعد غسله جيدا بالماء و وضعه في إناء ،وقم بتحريكه ،فإذا صارت له رغوة ، فقم بتصفيته وتركه على حاله حتى يجف مائه فقم بدقه دقا جيدا ،ليصير مثله مثل الغبار ،لتضيف عليه الماء ، وقم برجه ،ثم دعه ساعة ممن الزمن ،وخذ صمغا عربيا وأجعله فيه ،فيصبح جاهزا للكتابة[٢٥].

ويقول أيضا في صفة الأحمر الياقوتي :يؤخذ من الزعفران فقم بغسله جيدا ثم اسحقه حتي يصير مثل المرهم ثم قم برجه بماء العفص الأبيض ،وتدعه ساعة من الزمن ،ثم قم برجه مرة أخري بماء الصمغ العربي المحلول،وقم بتحريكه تحريكا جيدا،فيصبح جاهزا للإستعمال[٢٦].

ويقول أبو بكر محمد بن محمد القلوسي: يؤخذ من الزنجفور مقدار ماء ويغسل ويترك وينزل ويضرب ما تعقد منه بماء العفص والصمغ ويخلط معه ماء طبخ رجل الحمام ما يكفيه ويستعمل[٢٧].

ثانيا/- في صنع المداد الأصفر والذهبي:

يقول يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني في صفة المداد الذهبي :خذ ست أوراق من الوشق وهو الفاسوخ وقم بغمسه في الماء يوما وليلة ثم قمم بفركه بأصبع يدك جيدا ، ثم أجعل عليه وزن درهم زعفران الملون كالذهب ،وأن الزنجار إذا اطلق وجعل في الدواة وألقي عليه شيء قليل من الزعفران صار ربيعيا أي يشبه الربيع وهو نبات، فيصير جاهزا للكتابة[٢٨].

ويقول المعز بن باديس: قم بأخذ قشر الرمان الحامض عشرين مثقال ، وان كان رطبا كان أجود له ،ومن قشر الجوز الأخضر مثله ، ومن العصف الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال ،ومن عصارة الآس مثله ، وتجعله في الشمس أربعين يوما ، ثم تقوم بتصفيته وتجعله في

---

[٢٤] نفسه،ص٤٦.

[٢٥] نفسه،ص٤٧.

[٢٦] نفسه،ص٤٧.

[٢٧] أبو بكر محمد بن محمد القلوسي،نفسه ص٢٨

[٢٨] يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني،نفسه،ص٨-٩.

إناء،وتأخذ زرنيخا أصفر مسحوق وتضعه في الإناء وتقم بالرج جيد فيصير جاهزا للاستعمال[٢٩].

ويقول أيضا : قم بأخذ زرنيخ رهباني ، وقم بسحقه على بلاطة نظيفة سحقا جيدا ،حتى لا يحس الفهر[٣٠]وقعه بالماء العذب، ويلقي عليه شيء من الزعفران، وصمغ العربي،ويسحق به، ويرفع في ليقة الدواة. وهناك صنف يؤخذ من الزرنيخ الأحمر المشرق الحمرة فيسحق بالماء سحقا جيدا فإن شئت حللت فيه الزعفران، وان شئت تركته بلونه، ثم ترفعه في ليقة أي إناء زجاج ، وتكتب به بعد أن تضيف إليه صمغا ،وإن أردت أن تزيد مع الزعفران زنجفر فأفعل، فيصبح جاهز[٣١]

ويقول أبو بكر محمد بن محمد القلوسي في صفة المداد الأصفر: يؤخذ من ماء العفص ويسحق فيه الزنيخ الأصفر ، ويضاف إليه من الصمغ مقدار الحاجة.

وقال أيضا: يؤخذ ممن الزرنيخ الأحمر ثلاثة أجزاء وممن الزعفران جزء ومن الصمغ العربي جزء يحل الجميع بالماء ، فيصبح جاهزا للإستعمال[٣٢]

ويقول القلقشندي :أن يحل ورق الذهب وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب الذي يستعمل في الطلاء ونحوه ، فيجعل مع شراب الليمون الصافي النقي ، ويقتل فيه في إناء صيني أو نحوه أو يضمحل جرمه فيه ثم يصب عليه الماء الصافي النقي ويغسل من جوانب الإناء حتى يمتزج الماء والشراب ويترك ساعة حتى يرسب الذهب ، ثم يصفي الماء عنه ويؤخذ ما رسب في الإناء ثم يجعل في مفلة زجاج ضيقة ممن الأسفل ليجعل معه قليل ممن الليقة ، والنزر اليسير من الزعفران بحيث لا يخرجه عن اللون الذهب ، وقليل من ماء الصمغ المحلول ويكتب به فإذا جف قل بمصقلة من جزع حتى يؤخذ حده ثم يزمك بالحبر من جوانب الحرف.

أما اللازورد فأنواعه كثيرة ،أجودها المعدني وباقي ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة إنما يستعمل في الدهانات ونحوها ىوز، وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ويلقي عليه قليل من ماء الصمغ العربي ويجعل في دواة كدواة المتقدم ذكرها ، وكلما رسب حرك بالقلم ،ولا يكثر به الصمغ كي لا يسود ويفسد.

أما الزنجفر :أجوده المغربي وطرقة الكتابة به أن يسحق بالماء حتى ينعم ، وإن سحق بماء الرمان الحامض فهو أحسن ، ثم يضاف عليه ماء الصمغ ثم يلاقي بقلة كما يلاقي الحبر ويجعل في دواة ويكتب بها[٣٣]

---

[٢٩] المعز بن باديس،ص٦٨

[٣٠] الفهر: هو حجر دقيق تسحق به الأدوية

[٣١] المعز بن باديس ،نفسه،ص٦٩.

[٣٢] أبو بكر محمد بن محمد القلوسي،نفسه،ص٢٨.

هذا فيما يخص أهم الألوان ويقول المعز بن باديس:اعلم أن الألوان إنما هي أبيض أسود وأحمر أخضر وأصفر ، ولو ن السماء .الأبيض هو الباروق والأسود هو المداد ، واللازورد هو لون السماء ، بنيل وزنجار مركب ، ويعمل أحمر بزنجفر واسر نج ، والأصفر الفاقع من الزرنيخ الأصفر ، والحمرة زرنيخ أحمر .

والأصباغ لا يختلف بعضها ببعض ، إلا مسحوقة مبلولة ، فإنه أجود الإسفداج وهو الباروق وبه تكثر الأصباغ وتنقل من لون إلى لون ، وهو وحده للبياض جيد لا غيره، والزرنيخ واللازورد لا يمازجا بشيء وليس فيهما غير لونهما .

ويكون من ألازورد اسم نجوبي[٣٤] وهو أن يتخذ من اللازورد جزء ومن الباروق جزء وتسحقهما ،ثم تدخل عليه الباروق قليلا جزءا آخر من الباروق . فيحول من لون إلي لون وتتخذ منه ما شئت[٣٥] .

وقال ابن العفيف:شيئان لا يتم المداد إلا بهما هما العسل والصبر أما العسل فيحفظه على مر الأيام ولا يكاد يتغير عن حاله، وأما الصبر فإنه يمنع الذباب من النزول إليه[٣٦]

وقال بعضهم :لا بد للحبر من الملح والكافور ،لأن الملح يمنعه من التعفين ، والكافور يحسن رائته، ويمنعه من نفوذه للكاغد على طول الزمن[٣٧].

هذا واتفق جمهرة النساخين والوراقين على اختيار اللون الأساسي وهو اللون الأسود ، وقال بعضهم وإنما اختير فيه السواد دون غيره لمضادته لون الصحيفة ، قال : وليس شيء من الألوان يُضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض .

قال الشاعر :

فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مُسود
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حُسنه الضد[٣٨].

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي أن جعفر بن محمد نظر إلي فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له:

لا تجزعن من المداد فانه عطر الرجال وحلية الكتاب [٣٩]

---

[٣٣] القلقشندى،نفسه،ج٢،ص٤٦٦

[٣٤] -نجوبي: عرقي متشعب العروق

[٣٥] المعز بن باديس، نفسه،ص٦٢

[٣٦] هلال ناجي ،منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة،نفسه،ص٢١٢

[٣٧] نفسه،ص٢١٢

[٣٨] نفسه،ص٤٦١

[٣٩] ابن عبد ربه ،العقد الفريد، القاهرة ،١٩٤٩،ج٤،ص٢٠٠

وسمي المداد حبرا ، فيري القلقشندى أن الأصل في الحبر اللون ، يقال فلان ناصح الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء، فيقول ابن أحمد يذكر امرأة :

تتيه بفاحم جعد وأبيض ناصح الحبر

والمراد هنا بياض لونها وسواد شعرها [٤٠]

يقول ابن منظور[٤١]: أحبرين الأمر ، سرني والحبر و الحبرة النعمة، فالمراد به أثره علي المادة التي يكتب بها عليه[٤٢]، ويقول الصولي إنما سمي الحبر حبرا لتحسينه الخط ، ومن قولهم حبرت الشيء تحبيرا ، وحبرته حبرا زينته وحسنته والاسم الحبر[٤٣].

لقد شرف الله تعالي المداد وقيد ذكرها في مواضع كثيرة في المصحف الشريف ، فقد أتي في الخبر بأن مداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة، فيوضع أحدهما في كفة الميزان والآخر في كفة الأخرى، فلا يرجح أحدها على الآخر، فيتجلى لنا القيمة التي يحتلها المداد في الحضارة الإسلامية ، لذا فقد تفنن النساخ في الجزائر فتعددت كيفيات تحضيره ، فتميز كل مداد عن غيره من الأمدة، ولعله من أبرزها المداد الأسود الذي يضرب للحمرة ، الذي نجده في جل المخطوطات التي هي محفوظة الجزائر ،سواء التي تعود الى فترة ماقبل العثماني وأثناء ها ، كما وجدنا المصاحف المحفوظة بالمتاحف أو المكتبات العامة والخاصة قد استعملت فيها مجموعة من الألوان من أبرزها اللون الأحمر ،الأصفر والذهبي، والأزرق .

أما عن نوع الورق المستعمل في هذا المخطوط، والتي تتمثل في ألياف وخيوط الكتان ونبات القنب بالإضافة إلى المياه الغزيرة التي تتطلبها صناعة الورق[٤٤]، الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحدة ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقا[٤٥]،

كان الورق الذي يستعمل لكتابة المصاحف كثير الإتقان والجودة، ويحظر من مصنع للورق في مدينة شاطبة[٤٦]بالأندلس أو من الجزائر أو المشرق.

---

[٤٠] القلقشندى،نفسه،ج٢،ص٤٦١.

[٤١] ابن منظور،نفسه،ج٢،ص٢٤٩.

[٤٢] المقصود بالمواد: القرطاس الجلد ، الورق بأنواعه

[٤٣] - الصولي ،نفسه،ص١٠٢.

[٤٤] -عبد العزيز بن محمد المسفر،نفسه،ص٢٨.

[٤٥] -القلقشندى،نفسه،ج٢،ص٤٧٦.لمزيد من التفصيل أنظر: ابن منظور ،لسان العرب،نفسه،ج٢،ص٦٣.

[٤٦] -عبد العزيز بن محمد المسفر،نفسه،ص٢٩.

وبانتشار صناعة الورق أدى إلى تنوع صناعته ، فيختلف من منطقة إلى أخرى ومنها ما صنف ونسب إلى الولاة والأمراء الذين صنعت في عهدهم أما عن حجم الورق، فان مقاسات المخطوط هي كالتالي: ط: ٤٠.٥سم، ع: ٣٢.٥سم ، وهناك أخرى تنوعت بتنوع استعمالاتها، فيكتب للحكام في ورق من ثلثي القطع وإلى الأمراء من نصف القطع والى العمال والكتاب من ثلث[٤٧]، والى التجار من ربع ، والى الحساب والمساح من سدس، فهذه المقادير لقطع الورق في الإيالة الجزائرية الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس .

أما عناصر الزخرفة فإن ناسخ المخطوط، قد استعمل في الزخارف نوعين منهما: العنصر النباتي، والعنصر الهندسي، بدأت زخرفة فواصل السور على شكل دوائر، مما سهل على القارئ القراءة بالتمعن ،

فأما النباتات الزخرفة كان الفنان يجردها ويبعدها عن صورتها الأصلية ، بحيث كانت الأوراق والفروع زخرفية منحنية و الأغصان خطوطا ملتفة يتصل بعضها البعض الأخر مكونة أشكالا لا حدود لها .

وأما العناصر الزخرفية الهندسية هو رسم المربع والمستطيل ، إذ تشكل مستطيلات غير منتظمة وتشترك هذه المستطيلات بأنها ترتبط جميعها من كلا طرفيه أو احد أطرافه بعنصر نباتي ، لتكون الجداريات ، فتعطي لها رونقا مشكلة الورق العنب ثم الأغصان والسيقان والسلاسل وغيرها.

كان تصوير الزخرفة هي الصفة الرئيسية لتحلي تحتوي الصفحات الأولى منه على زخارف نباتية قوامها أنصاف المراوح النخيلية والوريدات نفذت باللون الذهبي، و تتخلل هوامش الصفحات جامات بأشكال مختلفة تشير إلى نصف الحزب بها زخارف نباتية كالوريقات و الوريدات.

التذهيب: ظهور صورة خطيطات رفيعة مكونة بذلك نقاطا أكثر عددا شكلا مثلثا أو على شكل وريدات صغيرة تزين كثيرا من صفحات المصحف الشريف .

أما تجليد المصحف فقد زخرف من الداخل و الخارج بزخارف نباتية أيضا بتقنية الضغط البارز تتمثل في الارابسك أو الرقش العربي ، وقد تعرض الغلاف الأصلي للإتلاف ، ربما يكون قد استهلك من كثرة مقدمات المصحف وآخره .

أما تجليد المصحف نلاحظ أن نوعيته ترتبط بنوع المواد المستعملة واجتهاد الصناع، وليس بالأسلوب الفني المتعلق بالزخرفة ، وقد تنوعت الأدوات المستعملة في التجليد منذ الفترة الوسيطية ، وقد أشار الى ذلك

[٤٧] - نقلا عن القلقشندى،نفسه،ج٦،ص١٨٩.

المعز بن باديس[٤٨] في أدوات التجليد وهي معرفة البلاطة والمسن والشفرة والشفاء والمقص والكازن والإبر والسيف والمعصرة والملازم والمسا طير والبياكير، فأما البلاطة فينبغي أن تكون من الرخام الأبيض والأسود والجيد أو غيره ،وتكون صحيحة الوجه تمر عليها مسطرة واحدة ليصح عليها البشر والتجليد.

أما المسن فينبغي أن يكون معتدل الوجه ، صحيح ، ولا ينبغي أن يكون لينا فتحفره الحديدة ، ولا صلبا فيضر بالحديد ، وأما الشفرة ينبغي لها أن تكون حديدا جيدا غير لين ولا صلبة ، وأن يكون مقدارها في الثقل والخفة على قدر يد الصانع ، وهو يعمل في اللصاق والمقص يكون معتدلا جيد الحديد ، ليقطع الجلد وغيره ، والإبر صنفين، فمنها ما يصلح للحزم ومنها مما يصلح للحبك فتكون الأولي تامة قليلة رقيقة البدن، و الأخرى تكون دونها في الطول والرقة. والسيف يجب أن يكون طوله عشرين إلى مادون ذلك ويكون جيد لعرض، ونقي البدن، جيد السقي ، أما المعصرة فيجب أن تكون أطول من الكتاب وأن يكون الكتاب في وسط المعصرة وذلك أخف على الصانع وأسلم له عند المسح،وتكون جيدة العرض ومسطرة الرسم فيجب أن تكون طويلة جيدة الجسم ،لا ثخينة ولا رقيقة .

وبقيت هذه الأدوات تستعمل في الإيالة الجزائرية شأن بقية البلدان المغرب العربي ، بل استمرت الى غاية القرن العشرين .

ورغم أن القران الكريم كتاب الله محفوظا ولم يتطرق لتحريف ، قال الله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: ١٩)، لكن يد الإنسان أدخلت عليه تعديلات بصفة مستمرة منذ عصر الرسول عليه السلام الى يومنا هذا ، في الحجم والشكل والزخرفة ، بل أصبح مع الزمان والمكان علم قائم بذاته يسمى بفن المصاحف ، والذي يعد مرآة ووجه ثقافة الأمم الإسلامية وشعوبها المنتشرة في ربوع العالم.

فبعد تدوين القران وجمعه بدا الاهتمام بترتيب وتسطير، أي هيكلته من الداخل والخارج ، وهذه العملية تُظهر لا محال شخصية النَساخ وصاحبه وبيئته الثقافية المحلية ، فكانت عملية إخراج لمصحف الشريف تمر بمراحل عدة : يأتي في مقدمتها الخط ثم التصوير والرسم، ولهذا نجد في كثير من الأحيان أن المصحف الواحد يمر عليه عمليات ، وكثيرا ما يكون الناسخ منفصلا عن الرسام الذي يهتم بالزخرفة أو التحلية أو التذهيب .

[٤٨] - المعز بن باديس،نفسه،ص٩٨.

ثانيا: الوصف :
المادة : ورق وجلد
التسمية : مصحف موقوف على الجامع الكبير من طرف عبدي باشا
المقاسات : ط: ٤٠.٥سم، ع: ٣٢.٥سم
التأريخ 1141 **:** هـ- ١٧٢٩ م
المصدر : الجزائر المحروسة
رقم الجردII.P.027 **:**
الوصف:
مصحف أوقفه عبدي باشا للجامع الكبير بالجزائر العاصمة سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م. يتكون هذا المخطوط من ٢٥٢ ورقة، كتب بخطي النسخ و الثلث.

وخلاصة القول أن صناعة الكتاب في الجزائر المحروسة خلال الفترة العثمانية كانت أصيلة من خلال الزخرفة والأشكال والتقنيات المستعملة ولم تتأثر كثيرا بالصناعة التقليدية العثمانية ، بل هناك لمسة جزائرية محضة تعود للفترة الوسيطية ، ومن بين الزخارف الأكثر استعمالا الزهور التي نجدها في الحدائق الجزائرية مثل الياسمين والنرجس والورود ، والأشكال الهندسية المصفوفة على الأشياء مثل النجوم والمربعات والمثلثات بالإضافة إلى الخط العربي المستعمل عبر كامل العالم الإسلامي.

يعد تراثنا المخطوط أضخم موروث عرفته الجزائر ويعود هذا لامتداد الرقعة الجغرافية والبعد التاريخي للحضارة الإسلامية فيها ، فوصل إلينا من الموروث الفكري والثقافي آلاف الكتب في مختلف العلوم في الفترة العثمانية ، رغم ما تعرض له من إتلاف من طرف الاستعمار الفرنسي ، وهذا من أجل طمس هوية الحضارة العربية الإسلامية .
تبقى تقنيات في صناعة الكتاب (المخطوط) نفسها كما الفترة الوسيطية والحديثة .
حظيت المصاحف بالخصوص بالتذهيب لما تحتله من مكانة متميزة عند المسلمين ، فهو كتاب الله العزيز ، فتهافت الناس ، وخصوصا الأغنياء والحكام على صناعته ، ووقفه في المساجد والمدارس في سبيل الله ، وهو عمل خيري محمود لدى المسلمين .

الصور

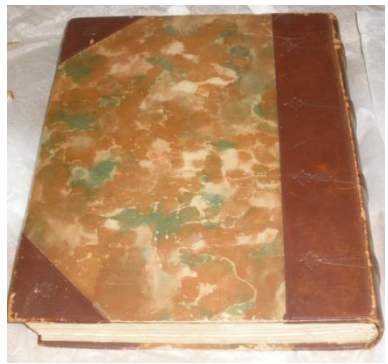

صورة رقم ٠١ : واجهة المصحف الشريف

صورة رقم ٠٢ : الصفحة الأولى للمصحف

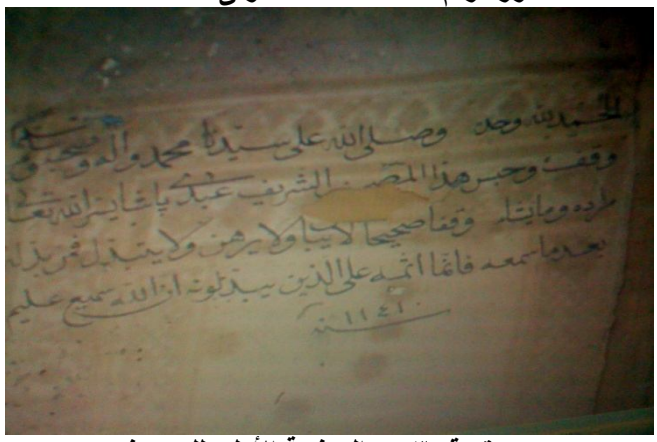

صورة رقم ٠٣ : الصفحة الأولى للمصحف

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما
وقف وحبس هذا المصحف الشريف عبدي باشا يسر الله بعده
طرده وما يشا {،،،}وقفا صحيحا لا يبادل ولا يرهن ولا يتبدل فمن بذله
بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبذلونه ان الله سميع عليم
سنة ١١٤١هـ

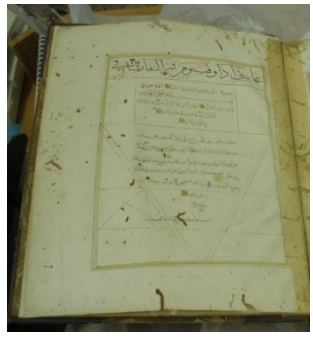

صورة رقم ٠٤ : الصفحات المتتالية في المصحف

صورة رقم ٠٥ : صفحة الختام وعليها اسم الناسخ

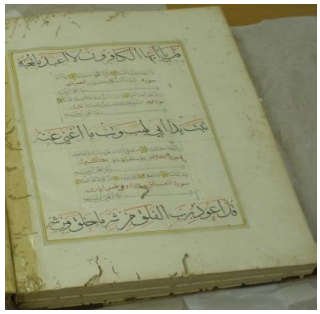

صورة رقم ٠٤ : السور الأخيرة : الكوثر، الفلق ، الناس

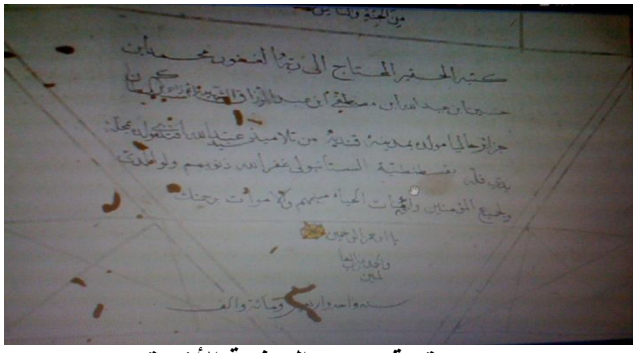

صورة رقم ٠٥ : الصفحة الأخيرة

صورة رقم ٠٥ : ماجاء في الختام

كتبه الحقير المحتاج الى ربه الغفور محمد ابن حسين بن عبد الله بن مصطفى بن عبد الرزاق جزائر حاليا مولده بمدينة قندية من تلاميذ سيد عبد الله بقسطنطينية الستانبولى غفرا الله ذنوبهم ولو المدى ولجميع المؤمنين والمؤمنات الحياء منهم والأموات برحمتك يا ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين أمين سنة واحد وأربعون ومائة وألف

صورة رقم٠٦ : الصفحات الثانية

سورة الفاتحة والبقرة

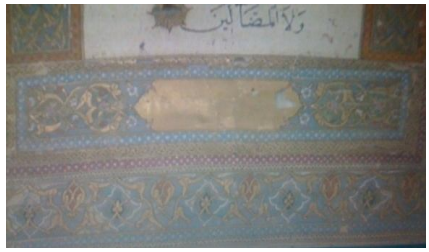

صورة رقم٠٧ : الألوان والتذهيب

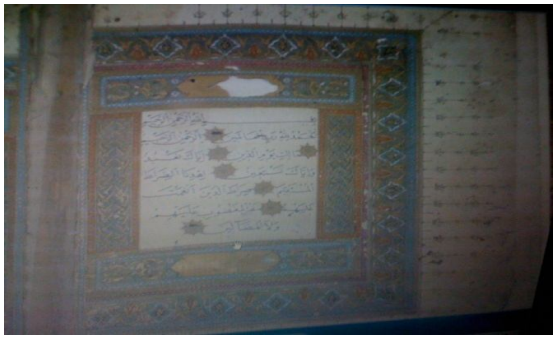

صورة رقم٠٨ : الوريدات و الاشكال الهندسية

المصادر والمراجع :

أ/ - باللغة العربية:

القرآن الكريم برواية حفص .

بن ميمون محمد الجزائري :التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق ، محمد بن عبد الكريم ، ط٢ ، ش، و، ن، ت، الجزائر ، ١٩٨١ .

- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠، ج١-٢، دار الأمة،
الجزائر، ٢٠٠٧.

- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم المهدي
البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، مارس١٩٧٣.

- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج ٣، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش: تاريخ و عمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس،
موفم للنشر،الجزائر، ٢٠٠٧.

القلقشندي أحمد أبو العباس : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ج٢، ١٩٢٢

القللوسي أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي : تحف الخواص في طرف الخواص، تحقيق حسام أحمد مختار العبادي، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.

ب/- باللغة الأجنبية:

- John Deny : les registres de solde des janissaires, in R, A Nº 61, 1920

- Fau (de la Mercy) ;description de la ville d'Alger avec l'observation d'une éclipse de lune qui arrive le 13 février 1729, in R, A Nº 84, 1940.

- Eugène plantet, correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579- 1833, T2, (1700- 1833), éditions bouslama- Tunis, 1981.

- klein Henri, Feuillets d'El Djazair, Fontana, Alger, 1937.

Guesdon Marie-Geneviève, « l'art du livre », in catalogue : L'Algérie en héritage, Art et histoire, Institut du monde arabe, 2003